الإشاريات في رواية "البطاقة السحرية" لمحمد ساري مقاربة تداولية

The Deixis in the novelmagiccard by Mohamed Sari apragmaticapproach

بوخشة خديجة [1]

[1] جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، khedidja.boukhecha@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2025/01/30 تاريخ القبول: 2025/05/09 تاريخ النشر: 2025/12/15

ملخص:

تقوم التداولية على عدة نظريات ومن بينها الإشاريات، وهي علامات لغوية لا يتحدّد مرجعها إلا بتحديد سياقها التداولي. ويرى الباحثون في مجال التداولية أن الإشاريات خمسة أنواع هي: شخصية، وزمانية، ومكانية، وخطابية واجتماعية.نسعى في هذه الورقة البحثية إلى تحديد أهمية الإشاريات في تحليل الظواهر التداولية في الخطاب السردي، وقد اخترنا رواية البطاقة السحرية لمحمد ساري" كمدونة تطبيقية؛ ابتغاء تحديد مقاصد الكاتب التبليغية، والكشف عن معانيها من خلال السياق.

كلمات مفتاحية: التداولية؛الإشاريات؛ الرواية؛ البطاقة السحرية؛ مُحَمَّد ساري

Abstract:

Pragmaticsisbased on severaltheories, including deixis, which are linguisticsignswhosereferenceisdeterminedonly by specifyingtheirpragmaticcontext. Researchers in the field of pragmaticsbelievethatthere are five types of deixis: personal, temporal, spatial, discursive and social. Here in thistopic, weseek to explain the importance of the deixis in analyzingpragmaticphenomena in narrative discourse. We have chosen the novel “The MagicCard” by Mohammad Sari as an applied model, in order to determine the writer’s communicative intentions and revealtheirmeaningsthroughcontext**Keywords:** Pragmatics; deixis; the novel; the magiccard; Mohammad Sari

المؤلف المرسل: بوخشة خديجة، **الإيميل**: khedidja.boukhecha@univ-tlemcen.dz

1. مقدمة:

التداولية علم يدرس اللغة أثناء الاستعمال إنها علم تواصلي جديد يهدف إلى تحديد مقاصد المتكلمين بالتركيز على السياق، وهو «مجمل الظروف الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والاستعمال اللساني... وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمتلقي والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعارف الشائعة بينهما على حد السواء» (Dubois, 1973, p. 120)فالتداولية تهتم بقصد المتكلم وأحوال المتلقي وكل الظروف والملابسات المحيطة بالعملية التواصلية. وللوصول إلى قصد المتكلم لابد من تحديد من المتكلم؟ ومن المستمع؟ وزمان الخطاب ومكانه والسياق الذي أنتِجَ فيه.

ومعظم النظريات التي انبثقت عن التداولية تركز على السياق الذي أسهم في تنظيم النظريات التداولية، ومن بين هذه النظريات: الإشاريات، نظرية أفعال الكلام، نظرية المحادثة، ونظرية الملائمة، ونظرية الحجاج.

اخترنا من الدرس التداولي نظرية الإشاريات كآلية إجرائية تحليلية نكتشف من خلالها الإمكانيات التي تحتويها لغة الكاتب أثناء العملية التواصلية، والبحث في إمكانية توظيف النظرية الإشارية لتحليل العلامات اللسانية داخل الخطاب السردي، وذلك بدراسة الصيغ الإشارية الموظفة وتحديد أنواعها وإحالتها.

وقد حاول الباحثون تطبيق النظريات التداولية وإجراءاتها على مختلف أنواع الخطابات الأدبية وغير الأدبية، والعناصر التي يهتم بها التداوليون هي قصد المتكلم ونواياه وأحوال المتلقي والعناصر اللغوية التي ترد في خطاب معين، وفي هذا الصدد سنحاول البحث في الإشاريات التداولية في رواية البطاقة السحرية لمحمد ساري، فكيف يستعمل الكاتب الإشاريات في خطابه؟ وكيف يتلقاها ويستوعبها المتلقي ليصل إلى مقصدية الكاتب؟

2. مفهومالإشاريات:

نظرية الإشاريات هي نظرية تداولية تدرس العلامات اللغوية داخل الخطاب، تحيل إلى الشخص والزمن والمكان، وتشكل هذه النظرية البدايات الأولى للنظرية التداولية اللسانية ضمن تداولية الدرجة الأولى، وإن كان لها في السابق إرهاصات عند كل من بنفنيست في نظرية التلفظ وتحديده لمفهوم الإحالة في الخطاب من جهة، والإحالة كمفهوم من مفاهيم الاتساق عند هاليداي وحسن رقية في لسانيات النص، تسعى نظرية الإشاريات إلى تحديد مقصدية المبهمات اللغوية، من خلال ربطها مع مستعمليها في سياق الخطاب.

والإشاريات باللغة الأجنبية**déictiques**هي كلمة مشتقة من اللغة اليونانيةdiektikos(larousse, 2000, p. 439)ومعناها الإشارة أو العلامة باستخدام اللغة، قد تشير إلى الشخص أو المكان أو الزمان وهي علامات لغوية لا يمكن تحديد معناها إلا في السياق التداولي الذي توظف فيه.

الإشاريات في اللغة العربية هي إحالات ترتبط بسياق معين، مثل أسماء الإشارة والضمائر والأسماء الموصولة وظروف الزمان والمكان ولا يتحدّد معناها إلا وفق مرجعيتها في الخطاب. وتتعلق بالعلامات الإشارية من مثل: أنا، هنا، الآن التي تتجلى في الأقوال وتتضح مرجعيتها في سياق الحديث، ولا تتحدّد إحالات هذه الرموز إلا من خلال السياق الذي تُوظّف فيه، وتتضح أكثر في إطار العلاقة بين المتخاطبين والزمان والمكان، فالضمائر وإشارات الزمان والمكان تختلف إحالتها حسب ظروف استعمالها.

وتحيل الإشاريات إلى «تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه» (الشهري، 2004، صفحة 81) فالعناصر الإشارية مثل: أسماء الإشارة والضمائر والأسماء الموصولة وظروف الزمان والمكان هي إحالات ترتبط بالمتكلم، وذلك من أجل تحديد درجة القرب والبعد عنه.

يقول فان دايك: «كل فعل لغوي يكون ناجحا إذا علِم المخَاطَب قصد وإحالة العبارة، وإذا كان للمتكلم غرض تبليغي ينبغي بموجبه أن يشكل المخاطب هذه المعرفة» (دايك، 2000، صفحة 266)فنجاح الأفعال الكلامية – أي تحقيق البعد الإنجازي والتأثيري للخطاب– مرتبط بمدى معرفة المتلقي لأغراض المتكلم ومقصديته، وتحديده للإحالات التي وظفها في العبارة اللغوية.

ومن هذه الإحالات الإشارية: ضمائر أنا وأنت وهو وإشارات هذا وذاك والآن، وهي تعابير مختلفة تختلف إحالتها حسب استعمالها وفق سياق معين. فلمعرفة إحالة الضمائر ينبغي تحديد نسبية الكلمات بالنسبة للمتكلم، وبالنسبة للظروف الزمنية يتوجب معرفة وقت التلفظ بالملفوظ لتحديد معناه، أما الظروف المكانية فيجب الاستناد إلى المكان لتحديد الإشارات والظروف المكانية، ومعرفة مكان المتكلم باعتباره مركز الخطاب فمن خلاله يتم تحديد القرب والبعد المادي والاجتماعي بالنسبة لأطراف الخطاب.

3. أنواع الإشاريات في رواية البطاقة السحرية :

صدرت رواية البطاقة السحرية للكاتب الجزائري مُحَمَّد ساري سنة 1997، الذي يحكي في فصولها عن فترتي الاستعمار الفرنسي وما بعد الاستقلال، وإذا كان عنوان البطاقة السحرية يشير معجميا إلى معنى السحر أي الشيء العجيب الغريب؛ لكنه يدل في الحقيقة حسب أحداث الرواية على الرغبة الملحة للشخصية أحمد تكوش المعروف بالسارجان في الحصول على بطاقة النضال من قسمة المجاهدين بقرية ابن عكنون، وقد وسم الكاتب هذه البطاقة بالسحرية؛لأنها في ظن هذه الشخصية حين يتحصل عليها ستغير مجرى حياته؛ بل وستقلبها رأسا على عقب وتمحي ماضيه الأسود، فرغم حياته الثرية التي يعيشها إلا أنه كان يريد تغيير نظرة الناس إليه، فهو في نظرهم الخائن الحرْكي، لكون كان يعمل مع الجيش الفرنسي أثناء الثورة وينقل له أخبار المجاهدين، فحين يحصل على بطاقة النضال موقّعة من طرف المجاهد النزيه مصطفى سيصنّفه الناس مع المجاهدين الأحرار الذين لبوا نداء الوطن.

وتتخلّل هذه الرواية أحداثا كثيرة مرتبطة بشخصياتها ومتنقلة بين الزمان والمكان، سنحاول تتبع الإشاريات الشخصية والزمانية والمكانية والاجتماعية والخطابية الموظفة في هذه الرواية وتحديد مقصديتها التداولية.

3-1 الإشاريات الشخصية:

وتشمل الإشاريات الشخصية جميع ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب، وقد تكون منفصلة أو متصلة وهي عناصر إحالية يتم تحديدها بالاعتماد على السياق، فهي لا تفهم إلا خلال المحادثة في سياقها الخاص الذي ترد فيه ففي مثال:

- أنا أكتب الدرس.
- انتبه إلى الدرس.
- هو غائب اليوم عن الدرس.

الملاحظ أن فهم هذه الجمل لا يكون فهما جيدا إلا بتحديد مرجع كل الضمائر من يتكلم؟ ومن المتلقي؟ ومن الغائب؟ فهذه هي صيغ الإشاريات الشخصية.

ولتحديد الضمائر في المدونة المختارة ينبغي تحديد نسبية الكلمات بالنسبة للشخصية المتكلمة، وقد ينشأ نوع من اللبس في استخدام الضمائر إذا تعدّدت الأشخاص. ويبرز الدّور الفعال للضمائر في عملية التلفظ وهو ما أقره بنفنيست الذي «يقيم مع العديد من اللسانيين مفهوم التلفظ وهو يعني الفعل الندائي في استعمال اللغة إنه فعل حيوي في إنتاج نص ما كمقابل الملفوظ باعتباره الموضوع اللغوي المنجز والمنغلق والمستقل عن الذات التي أنجزته وهذا يتيح دراسة الكلام ضمن مركزية نظرية التواصل ووظائف اللغة». (السد، 1997، صفحة 21) فقد لاحظ بنفنيست في تحديده لمفهوم الإحالة التمييز بين ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب فأدرك أن عملية القول والتصاقها الحميم بصاحبها يحدّدان كل إحالة كلامية.

فالضمير أنا يحيل وجوبا إلى من يقول أنا، وقوله "أنا" يفرض حتما حضور آخر يوجه إليه خطابه ويُشار إليه بـ"أنت" هذه العلاقة الوثيقة تربط المتكلم بالمتلقي وتفرض حضورهما الضروري، وكل من ليس حضوره ضروريا يسمى الغائب.

وفي المدونة المختارة يتساءل القارئ عن الضمير الغائب الذي يتحدث عنه الكاتب في الصفحات الأولى للرواية، وعندما يصل إلى أواخر الصفحة السادسة يكتشف أنّه يتحدث عن شخصية مصطفى

حين يقول «لما أدرك السّائق عدم نفعية المنبه فتح الباب ووقف متكئا على سقف السيارة المغبَّر ونادى بأعلى صوته الجهوري يا سي مصطفى»(ساري، 1997، صفحة 6) فالضمير الغائب "هو" يشير إلى شخصية مصطفى بطل الرواية، فيتعرف القارئ على أنه الشخص الذي وصفه الكاتب من بداية الرواية. لكن من هو السائق الذي نادى مصطفى؟ كان ذلك السائق هو أحمد تكوش المعروف باسم السرجان .

وحين يوظف الكاتب ضمير الغائب **هو** في عمله الإبداعي يمكّنه من التعبير عن أفكاره كيفما شاء، فيختفي خلف الضمير لتمرير أفكاره دون أن يبدو ذلك تدخلا مباشرا منه. ولقد تنوعت استعمالات الضمير **هو** حسب الشخصية التي دلّت عليه في الرواية.

جاء في الرواية «تساءل مصطفى عمروش بغيظ عن لون القدر الذي جعله يلتقي بهذا الحلوف» (ساري، 1997، صفحة 6) فالضمير المتصل الهاء في كلمة جعله يحيل إلى مصطفى عمروش، أما اسم الإشارة هذا فيشير إلى أحمد تكوش الملقب بالسارجان، فقد كان مصطفى يتجنب لقاءه، وكلمة الحلوف يقصد بها شخصية أحمد تكوش وهي إشارية اجتماعية يقصد بها التحقير والذم والتقبيح.

يقول السارجان مخاطبا مصطفى «كثير من الناس في القرية وأنت أول من يعرفهم يملكون بطاقات النضال وهم لم يغادروا ديارهم خلال السنوات السبع فلماذا ترفض لي أنا بالضبط» (ساري، 1997، صفحة 13)

يحمل الضمير أنا دلالة الإحالة الذاتية قد لا يحيل بالضرورة إلى مؤلف الرواية بل إنه يرتبط بالشخصية التي تتحدث عن ذاتها وقت إنجاز الكلام.

فالضمير أنا مثلا تنوعت إحالاته المرجعية حسب استعمالاته، ففي هذا القول دلت على شخصية السرجان ودلت في سياقات أخرى على البطل مصطفى، وعلى ابنه جمال، أي على شخصيات الرواية المختلفة.

ويشير الضمير "أنت" في هذه الفقرة إلى مخاطَبه مصطفى، أما الضمير "هم" فيعود على المجاهدين الذي يملكون بطاقات النضال.

يقول السارجان معتدا بنفسه «إن لم أكن أنا السارجان وما كنت إلا سرجانا» (ساري، 1997، صفحة 17) فنبرة حديثه في هذا السياق كانت متحديةً لقرار مصطفى ومتضمنةً قدرته على الحصول على البطاقة مهما حصل.

فالضمائر مجرد أوعية فارغة نملؤها بالمعنى لحظة التحدث فيتحدد معناها بتحديد قائلها، وهو ما يمنح للعمل السردي أبعادا دلالية وجمالية .

والضمير "أنت" يستعمل ليدل على التعامل بين الشخصيات حينما يكون المرسل مكافئا للمرسل إليه أو يعلوه درجة، فيتطلب وضعا متميزا في التعامل مع الشخصيات، وقد يكون اللجوء للضمير "أنت" حاملا من الدلالة والإيحاء مالا يتوقعه القارئ، فالتفسير الذي يقدّمه يحمل أبعادا كثيرة، فقد يكون خطابا تقريريا قصد التنبيه لأمر ما؛ فحين يقول السارجان: «كثير من الناس في القرية و**أنت** أول من يعرفهم يملكون بطاقات النضال ...» (ساري، 1997، صفحة 13) فالسارجان ينبه مصطفى بطريقة توجيهية ليمتثل لأمره، فالضمير **أنت** جعل الخطاب يحمل استراتيجية توجيهية بالضغط على المتلقي مصطفى وتوجيهه لفعل مستقبلي وهو كسب ودّه للإمضاء على بطاقة النضال.

وحين يقول السرجان لصديقه «ماذا كان مصطفى هذا؟» إشارة شخصية تشير إلى التحقير والإنقاص من قيمته والتقليل من شأنه، لأن مصطفى رفض أن يوقع له بطاقة النضال.

استعمل الكاتب ضمير الجمع نحن في الرواية للدلالة على المجاهدين؛ حيث استعمله البطل مصطفى ليشير إلى نفسه وإلى كل الشرفاء والمجاهدين، وقد يستخدم الكاتب ضمير الجمع نحن لتعظيم ضمير المتكلم فيصبح نحن بدلا من الأنا، أو من أجل الإقناع كذلك حين يحاول إقناع المتلقي فيوافقه الرأي، فقد استعمله السرجان ليقنع مصطفى بطلبه فقال «أنا أساعد أصدقائي وأحبائي، أساعد الذين ذقنا الملح معا أيام المحن أيام كنا حقيقة نشتاق رغيف خبز نسترجع به الحياة إلى أجسادنا...» (ساري،

1997، صفحة 13) إذ انتقل السارجان من ضمير المتكلم أنا ثم حوله إلى الجمع ليجعل نفسه مع المجاهدين وليُدْخِل السامع مصطفى في هذا الجمع وبالتالي ليصنف نفسه ضمن قائمتهم فيُقنعه ليمنحَه بطاقة النضال. ويتميز الضمير نحن بخصوصية مرجعية في الدلالة على المتكلم، فاستعمال صيغة نحن من أجل النجاح في إيصال غرضه، فعندما تستعمل الشخصية ضمير نحن فهو يمثل قناعة جماعية يُدخِلُ فيها رأيه الخاص ورأي متلقيه. لكن مصطفى تفطّن لهذه الحيلة ولم يقتنع بحواره فلم يلب طلبه.

يقول الكاتب «الكل يعرف الكل عن الكل» (ساري، 1997، صفحة 17) للإشارة إلى أن الحقيقة بادية جليا أمام الجميع، حيث تشير لفظة "الكل" الأولى والثالثة إلى جميع الناس أو جميع أهل قرية عين الفكرون أما كلمة الكل الثانية فتشير إلى كل الأخبار والحقائق. ويقصد بجملته تلك أن جميع الناس في قرية عين الفكرون يميزون المجاهدين الأحرار عن الخوَنة العملاء.

وقد اختلفت دلالة الضمير المثنى الغائب **هما** باختلاف السياق الذي ورد فيه، فدلّ على حورية ومصطفى في الفصول الأولى للرواية، وفي سياق آخر أحال على شفيقة ابنه السارجان وجمال ابن مصطفى، كما أشار في مواقف أخرى إلى عبد الملك وصديقه السارجان ....

3-2 الإشاريات المكانية:

تحيل الإشاريات المكانية إلى المكان الذي أُنتِج فيه الملفوظ، وتدل على «علاقة المكانية بالمتكلم والاسم المشير وتمثلها بصورة عامة ظروف المكان، ويعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وَقْتَ الكلام، وعلى مكان آخر معروف للخطاب أو للمخاطب والسامع» (نحلة، 2002، الصفحات 17-18) فلتفسير المبهمات المكانية يجب الاستناد إلى المكان لتحديد الإشارات والظروف المكانية، أي تحديد موقع الخطاب ثم ربطه بالمتكلم وزمن الخطاب.

ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا وبعدا أو جهة ولا نستطيع تفسير العناصر الإشارية إلا إذا وقفنا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه. (الشهري، 2004، صفحة 58)

فهناك كلمات تشير إلى القرب من المتكلم مثل هنا، وكلمات تشير إلى البعد مثل هناك لكن لا يمكن تحديد المسافة الحقيقة لمكان المشير إلا بتحديد البعد أو القرب من المتكلم.

تبدأ أحداث رواية البطاقة السحرية في بيت البطل مصطفى عمروش الذي يحضِّر نفسه للذهاب إلى اجتماع قدماء المجاهدين في القسمة، ليعود في الفصل الثامن إلى نفس المكان في قاعة الاجتماع لأخذ القرار حول منح بطاقة النضال للسرجان أحمد تكوش. لتكون بذلك الفصول الباقية استرجاعات لذكريات الماضي فتنوعت أمكنتها بتنوع الزمن وتغير أحداث الرواية، مثل الجبل، الغابة، القرية، الحانوت، المقهى، القصر، القربي، عين الفكرون، المدينة، العاصمة، دزاير، الجامعة، المطعم، المكتبة...

القصر والقربي: القصر مبنى فخم كان يملكه السارجان، أما **القربي** فهو بيت صغير يشير إلى الحالة الاجتماعية المزرية والفقر المدقع؛ حيث تقول زوجة السي سعيد الشهيد: «عدت إلى **هذا القربي** الذي تراه أمامك فهو لم يتغير ومازال على حاله منذ بناه زوجي رحمه الله بعد حرب الألمان». (ساري، 1997، صفحة 15)

القرية والعاصمة : في الفصل الأول يحكي الكاتب عن أحمد تكوش المعروف باسم السارجان الذي «تجاوزت أخباره قرية عين الفكرون وتسربت إلى غاية العاصمة» (ساري، 1997، صفحة 18)

كما خصص الكاتب الفصل الرابع ليحكي قصة الحب التي جمعت بين شفيقة ابنة السارجان وجمال ابن مصطفى عمروش منذ كانا في الابتدائية وتنافسهما على المرتبة الأولى إلى التحاقهما بالجامعة بكلية الطب في العاصمة، فكانت الأمكنة مناسبة لهذا الواقع السردي، مثل: المدرسة، الجامعة، الكلية، المكتبة، المطعم الجامعي، الحافلة، أزقة المدينة، وحي ديدوش مراد والعربي بن مهيدي.

يقول الكاتب «هما لا يكُفَّان عن مقارنة حياة القرية المملة الرتيبة في مقابل حياة المدينة الحرة الطليقة...» (ساري، 1997، صفحة 63)فالضمير المنفصل "هما" ضمير مثنى غائب يعود على شفيقة بنت السرجان وجمال بن مصطفى عمروش. أما لفظة "القرية" فهي إشارية مكانية تشير إلى عين الفكرون، أما المدينة فتدل على العاصمة.

أشار الكاتب كذلك في سياق آخر إلى العاصمة بلفظ من اللهجة الجزائرية الدزاير؛ حيث يقول الكاتب على لسان صديق السرجان الذي يحاول إقناعه بالعدول عن رأيه في محاولته للحصول على بطاقة نضال من قسمة عين الفكرون، فقال له «الدزاير مدينة كبيرة لا يعرفك فيها أحد ولا يهتم بك الناس سواء كنت بطلا مثل عميروش أو حركيا مثل الباشاغا بوعلام» (ساري، 1997، صفحة 47)فالدزاير إشارة مكانية تحيل إلى العاصمة.

وفي السياق نفسه يجيبه السرجان مصمّما على رأيه بقوله «ولكن عين الفكرون الناس تعرف والعيون ثاقبة والأفواه الثرثارة لا تصمت، أريد بطاقة نضال من قسمة عين الفكرون بالذات، وبإمضاء مصطفى عمروش شخصيا إنه مجاهد من الدفعات الأولى ومعروف بنزاهته» (ساري، 1997، صفحة 47) حيث يصرُّ السارجان على حصوله على بطاقة النضال من قسمة عين الفكرون ليُسْكت أفواه الناس، ويصنفوه ضمن المجاهدين الأبطال.

السجن: وكان ذِكْر هذا المكان تحديدا في الفصلين الخامس والسابع من الرواية: ففي الفصل الخامس من الرواية كان الحديث في هذا المكان عندما حاول ابن السارجان الثأر لأبيه والدرك يحاولون تهدئة الأوضاع وترك العدالة تأخذ مجراها وتتولى أمر الفاعل.

أما في الفصل السابع فقد تم ذكر "السجن" حين قام جمال بزيارة أبيه مصطفى عمروش في السجن وتساؤله عن السبب الذي جعله يُقْدِم على قتْل السارجان.

3-3 الإشاريات الزمانية:

وتتمثل الإشاريات الزمانية في ظروف الزمان بصورة عامة، وإذا لم يعرف زمن الخطاب التبس الأمر على القارئ، وقد تدل الإشاريات الزمنية على الزمن الكوني أو النحوي (نحلة، 2002، صفحة 18) «وهي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التلفظ، فإذا لم يعرف الزمن التبس الأمر على السامع أو القارئ» (أرمينيكو، 1982، صفحة 42)فلتحديد ظروف الزمان المستعملة في الخطاب

ينبغي توضيحها انطلاقا من لحظة التلفظ الحقيقي بها، ومن الألفاظ الدالة على الزمن: أمس، الآن، غدا، بعد...

فمثلا حين يقرأ الطلبة الإعلان الآتي: الأسبوع القادم سيكون امتحانا كتابيا. فلا يعلمون متى زمن الخطاب، وهل الامتحان سيكون الأسبوع المقبل أم أنه مضى وقته؛ وذلك لعدم علمهم بوقت الإعلان على وجه الدقة.

ولتحديد الظروف الزمانية يتوجب معرفة وقت التلفظ بالملفوظ لتحديد معناه. والإشارة إلى الزمن قد تتجاوز الزمن المحدد وتتسع إلى الزمن الكوني..

تنوعت الإشاريات الزمانية في الرواية بين فترتين زمنيتين:

- الفترة الأولى تدل على الاتساع، مثل: إلى الأبد، كأنه دهر، مدى الحياة، دائما، كل يوم...
- والفترة الثانية دلت على مدة زمنية محددة، مثل: الثورة التحريرية سبع سنوات، وفترة الاستقلال عشرون سنة، الآن، غدا، أمس...

ففي قول الكاتب: «الإعلان عن اختتام الاجتماع على أن يعقد في يوم لاحق سيحدد فيما بعد»(ساري، 1997، صفحة 95) هنا زمن الحكي في يوم لاحق لا يعلم بالضبط متى سيتم عقد الاجتماع مجددا.

كما ذكر الكاتب أزمنةً مختلفةً داخل روايته، نجده مرة يتحدث عن حرب لالمان وهي تشير إلى فترة زمنية في الحرب العالمية الثانية 1945، وتارة أخرى تحدَّث عن حرب لاندوشين التي تحيل إلى فترة الحرب الهند الصينية التي تزامنت مع فترة الثورة الجزائرية المجيدة.

كما تحكي فصول الرواية فترات من الثورة الجزائرية السنوات السبع، وما فيها من أحداث، وما بعد الاستقلال على مدار عشرين سنة تلت الاستقلال. وأدرج الكاتب في عملية سرده أزمنةً أخرى محددة بوقت قصير، من مثل: صباحا، الظهيرة، قبل الغروب، في الليل....

روى الكاتب كذلك قصة غريبة صارت حدثا زمنيا، هي قصة عودة السارجان من الموت، فعندما أصابته سكتة قلبية ظن الناس أنه مات وحضروا جنازته فقفز من التابوت، وصار حيا فأضحى هذا الحدث «فاصلا تاريخيا تحَدّد بواسطته الوقائع والوفيات والولادات... ولد فلان في السنة الموالية لعودة السارجان من الآخرة، هاجر فلان إلى فرنسا قبل تلك السنة بكذا، حج فلان بعدها بكذا سنة» (ساري، 1997، الصفحات 53-54) فصارت قصة عودة السارجان من الموت حدثا زمنيا تقاس به باقي أحداث الرواية.

3-4 الإشاريات الاجتماعية:

تدل الإشاريات الاجتماعية على ألفاظ وتراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين وتُستعْمَل في العلاقة الرسمية كصيغ التبجيل لمن هم أكبر سنا ومقاما... أو على الطبقة الاجتماعية مثل مخاطبة الضمير المفرد بالجمع يشير إلى أنّ المخاطب أعلى مرتبة من المتكلم: سيادتكم الفاضلة، سيدي المحترم... أو استعمال كلمات مثل حَرَمِه، زوجته، امرأته، عقيلته...

تعج الرواية بإشاريات اجتماعية رسمية وغير رسمية بعضها مُسْتعمَلٌ في اللهجة الجزائرية فقط، فيصعب على باقي العرب معرفة المعنى الذي تشير إليه، فنجد الكاتب يستعمل إشاريات اجتماعية مثل: السارجان، الشامبيط، الحرْكي، الخاوة، الحركة، المجاهدين، الفلاقة، الشهداء، مسبل القرية... الصديق الحميم، الزوجة البنت الابن...

جاء في الرواية حين كان البطل مصطفى عمروش ينظر إلى صورة «صديقه الحميم صديق الصبا والطفولة والشباب علي زغمار الذي استشهد بعد أسبوع فقط من أخذ الصورة» (ساري، 1997، صفحة 21) فهذه الإشاريات الاجتماعية تدل على علاقة الصداقة الحميمة التي تربط البطل مصطفى بصديقه علي زغمار.

ويقول السارد عن علاقة حورية بمصطفى «نمت بينهما صداقة مليئة بالإعجاب والتفاهم، وكبر هذا الشعور معهما إلى أن أضحى حبا قويا يتحمل المصائب والتضحيات»(ساري، 1997، صفحة 24)

فحين يقدم الكاتب شخصية حورية وصفها في البداية على أنها صديقة الطفولة للبطل المجاهد مصطفى ثم تحولت إلى علاقة حب بينهما فزوجة له ثم أم لابنه جمال.

وفي قول الكاتب «باحت الأم بالسر المكتوم، واعترفت لها بأن أباها قرر إعطاءها إلى رجل مهم من أعيان القرية المعروف بالسارجان» (ساري، 1997، صفحة 25)حيث جرى الحوار هنا بين حورية وأمها، إبان الثورة، ويشير لفظة **إعطاءها** إلى أن والد حورية قرّر تزويجها للسارجان لكونه ثريا، فكلمة إعطاءها إشارة تدل على علاقة اجتماعية رسمية هي الزواج، لكن حورية رفضت الزواج والتحقت بالمجاهدين لتعمل ممرضة ثم تزوجت من المجاهد مصطفى.

لفظة **السرجان** هي إشارة اجتماعية تدل على درجة في الجيش تعود على شخصية أحمد تكوش بعد خروجه من الجيش الفرنسي، فمشى بين أهل القرية «وهو مفتخرا بزيه العسكري بأنه سرجانا وليس كبرانا مثلما يتصورون» (ساري، 1997، صفحة 9) والكبران كذلك رتبة عسكرية لكنها أقل درجة من السرجان.

وجاء في الرواية استعمال كلمة**شامبيط** حين تحدّث السارد عن شخصية أحمد تكوش بأنه «عمل "شامبيطا" في القرية وضواحيها لفترة وجيزة ثم فتح حانوتا مباشرة بعد اندلاع الثورة» (ساري، 1997، صفحة 29) فكلمة شامبيط كذلك تشير إلى رتبة عسكرية أقل درجة من السرجان.

وظف الكاتب كلمة "**مسيو**" في حديثه عن شخصية "**مسيوغوميز**" رئيس بلدية عين الفكرون أثناء الثورة، فكلمة "**مسيو**" مأخوذة من اللغة الفرنسية، وتستعمل في اللهجة الجزائرية لتدل على السيد وترمز إلى السلطة وإلى الاحترام. واستعمل الكاتب كلمة مسيو في الرواية في سياق آخر بقصد التحقير والذم، حين يقول مصطفى «يتصور مسيو السرجان أنه يشتري كل شيء بماله» (ساري، 1997، صفحة 19) فكلمة مسيو في هذا السياق دلت على التحقير والتقليل من شأنه والسخرية منه، ومن جهة أخرى جمعته بأسياده الفرنسيين فهو تابع لهم.

استعمل الكاتب كذلك لفظة **القاوري** التي تشير إلى الشخص الفرنسي المستعمر، وتستعمل في اللهجة الجزائرية بغرض المدح لتدل على الانضباط في الوقت وتنظيمه، أو لوصف الجمال الخارجي للإنسان حين يكون أشقرا، لكن الكاتب وظف كلمة القاوري في رواية البطاقة السحرية على لسان شخصية مصطفى مستعملا لفظ الإشارة ذلك مشيرا إلى السارجان بقوله : ذلك القاوري بغرض الذم والتحقير والسخرية منه لكونه خائنا لوطنه وتابعا لأسياده المستعمرين.

كما وظف الكاتب كلمة "**سي**" حيث ترددت كثيرا في الرواية مثلا: – يا سي مصطفى، سي سعيد... وغيرها وهي كلمة تستعمل في اللهجة الجزائرية للإشارة إلى السيد أو كبير القوم الذي له مكانة اجتماعية رفيعة، وتدل على الاحترام والتقدير والتبجيل. والملاحظ أن الكاتب استعمل لفظة **سي** فقط مع شخصيات المجاهدين والشهداء، ولم يستعملها مع غيرهم من الخونة.

وظف الكاتب لفظة "**الفلاقة**" وهي إشارة اجتماعية كان الفرنسيون وأتباعهم ينعتون بها المجاهدين تحقيرا لهم، وتشير إلى التمرد على السلطة، جاء في الرواية أنّ السارجان أثناء الثورة «كان متأكدا أنّ السلطة ستقضي على "الفلاّقة" بكل سهولة»(ساري، 1997، صفحة 30)

لفظة "**الحرْكة**" وهي إشارة اجتماعية كان المجاهدون يسمون بها الناس الذي يبيعون الوطن وينقلون أخبار المجاهدين إلى السلطة الفرنسية «كان عبد الهادي رمضان حركيا يتعامل مع قائد الثكنة العسكرية» (ساري، 1997، صفحة 30). فأشار الكاتب إلى شخصية عبد الهادي رمضان وهو صديق السارجان وصنفه في زمرة الحرْكة.

كلمة **الخَوَنَة** إشارة اجتماعيةبنفس معنى كلمة الحرْكة الذين خانوا الوطن إبان الثورة التحريرية الكبرى تقول العجوز والدة الشهيد إبراهيم «الخونة يمتلكون نفس امتيازات المجاهدين أو أكثر أما عائلات الشهداء فقد نسيها الجميع ولم يهتم بها أحد، السارجان الخائن الذي باع سي سعيد أصبح اليوم آمنا ومرفها يبني القصور وزوجة سي سعيد تعمل في المدرسة مع النشاف والمكنسة» (ساري، 1997، صفحة 14)حيث تحدثت هذه الشخصية عن الظلم الذي تعانيه زوجة الشهيد من فقر فهي عاملة نظافة في المدرسة، بينما الخائن الحركي أصبح ثريا يسكن القصور.

وذكر الكاتب في سياق آخر هذه الفكرة بقوله «العفو الشامل يحمي كل الخونة والحركة إلى الأبد» (ساري، 1997، صفحة 15)وهنا شعور بالظلم لأنّ العفو الشامل يحمي كل الخونة والحركة الذين باعوا الوطن، ونقلوا أخبار المجاهدين إلى المستعمر.

استعمل الكاتب لفظة **"الطُلْبة"**فقدوردت هذه الإشارية الاجتماعية بضم الطاء وتسكين اللام، حيث جاء في الرواية«أولئك "الطُلبة" الذين يحفظون القرآن ذهابا وإيابا»(ساري، 1997، صفحة 96)وتشير كلمة الطُلْبة إلى حافظي القرآن، في المدارس القرآنية أو المساجد، كما استعمل الكاتب لفظ الطَلَبة بفتح الطاء واللام للدلالة على متعلمي الثانوية والجامعات، في سياق حديثه عن شفيقة وجمال إثر التحاقهما بالجامعة في العاصمة لدراسة الطب.

3-5 الإشاريات الخطابية:

ترِدُ الإشاريات الخطابية في ثنايا الخطاب وتحيل إلى موقف خاص بالمتكلم فحين يتحير مثلا يقول: **مهما يكن من أمر**، وقد يحتاج أن يستدرك على كلام سابق أو يضرب عنه فيقول: **لكن، بل**، وقد يريد إضافة شيء فيقول: **فضلا عن ذلك**، وقد يعمد إلى تضعيف رأي فيقول: **قيل**، وقد يقصد الترتيب فيقول: **ومن ثم** ...الخ

رواية البطاقة السحرية مليئة بالإشاريات الخطابية لكونها مهمة في عملية الربط بين الأحداث، ويتم تحديد مرجعيتها حسب السياق اللغوي الذي وردت فيه، لكن سنقتصر على ذكر بعض من هذه الإشاريات الخطابية، حيث ورد في الرواية «أضاف مصطفى عمروش مكسرا الصمت الثقيل» (ساري، 1997، صفحة 12) للدلالة على الإضافة إلى كلام سابق أثناء الحوار الذي جرى بين مصطفى عمروش والسرجان.

يقول الكاتب في سياق آخر «لم يتوقف الصراع عند هذا الحد بل تعمق وتشعب مع مايرويه الناس من حكايات من ماضي الرجلين...» (ساري، 1997، صفحة 13) كلمة **بل** دلّت على الإضراب، أما

جملة "ما يرويه الناس من حكايات" فتشير إلى الإشاعات التي ألَّفها النّاس أو التي أشاعها السّارجان والتي لا أساس لها من الصحة.

وقد وظّف الكاتب كذلك كلمة إشاعات حين قال «لم يتسرع مصطفى عمروش إلى الإجابة عن إشاعات خصمه، بل تريث وانتظر أن تمر الزوبعة بسلام»(ساري، 1997، صفحة 17) فكلمة إشاعات إشارة خطابية تدل على تضعيف القول الكاذب الملفق. فقد نشر السارجان بين الناس أكاذيب حول علاقة المجاهد مصطفى بالشهيدة حورية أثناء الثورة ليشكك في شرفهما ويقلل من احترام الناس لهما.

وفي نفس السياق جاء في الرواية «تنتشر الأخبار بسرعة البرق ولا يخفى خبر مهما كان خطيرا بل بالعكس نوعية هذه الأخبار غير العادية هي التي يتسارع الناس ويتلذذون في روايتها» (ساري، 1997، صفحة 17) تشير كلمة الأخبار غير العادية إلى الإشاعات الكاذبة التي كان ينشرها السرجان، حيث كانت تنتشر أكاذيبه بسرعة كبيرة بين الناس. وتتمثل خطورة هذه الأخبار حين تكون أكاذيب ملفقة وتمس شرف الشخص وعرضه.

4. خاتمة:

حاولنا في هذه الورقة البحثية دراسة الصيغ الإشارية الموظفة في الخطاب السردي وتحديد أنواعها ومرجعيتها،حيث يلفت انتباه القارئ المطّلع على رواية البطاقة السحرية وصفَ الكاتبِ الدقيق للشّخصيات فلم يحصر روايته في ضمير المتكلم الذي يطرح رؤاه وتعاليقه بطريقة أحادية، بل استعان بالضمائر الأخرى لإقناع القارئ بمصداقية الطرح. فاستعمل أنا، نحن، أنت، هو، هما وكل الضمائر، ويمكن للقارئ أن يحدّد مرجعيتها الخطابية من خلال السياق الذي وظفها الكاتب فيه.

كما تمثّل الإشاريات المكانية الفضاء الذي تجري فيه أحداث الرواية، وقد تنوّعت بتنوّع الزّمن وتغيّر الأحداث، فقد ذكر الكاتب أمكنة مختلفة مثل: الجبل، الغابة، القرية، الحانوت، المقهى، القصر، القربي، عين الفكرون، المدينة، العاصمة، دزاير، الجامعة، المطعم، المكتبة...

وتنوعت الإشاريات الزمانية في الرواية بين فترتين زمنيتين واحدة تدل على الاتساع مثل: إلى الأبد، كأنه دهر، مدى الحياة، دائما، كل يوم... وأخرى دلّت على مدة زمنية محددة مثل: الثورة التحريرية سبع سنوات، وفترة الاستقلال عشرون سنة، الآن، غدا، أمس...

واستعمل الكاتب إشاريات اجتماعية ليوضح العلاقة التي تربط بين شخصيات الرواية ومكانتها وخصوصيتها الاستعمالية في المجتمع الجزائري مثل: السارجان، الشامبيط، الحرْكي، الخاوة، الحركة، المجاهدين، الفلاقة، الشهداء، مسبل القرية... الصديق الحميم، الزوجة البنت الابن...

أما الإشاريات الخطابية فهي إشاريات ضرورية لأي خطاب، لكونها تربط بين الأحداث وتبيّن قصد الكاتب وتوضحه للقارئ.

المراجع والمصادر

- أرمينيكوفرانسواز(1982): **المقاربة التداولية**، ترجمة سعيد علوش، الرباط مركز الإنماء القومي ط2.
- دايك فان (2000): **النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي**، ترجمة عبد القادر قنيني الدار البيضاء افريقيا الشرق.
- ساري محمد: (1997) **البطاقة السحرية**، اتحاد الكتاب العرب، مكتبة الأسد.
- السد نور الدين السد(1997) **الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث**،دط، هومة للنشر والتوزيع،.
- الشهري عبد الهادي بن ظافر (2004): **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية**، دار الكتاب الجديد بيروت ط1.
- نحلة محمود أحمد(2002): **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، مصر، دار المعرفة الجامعية.

Dubois, J. (1973). *Dictionnaire de linguistique*. Paris: Libraire Larousse.
larousse. (2000). *dictionnaire encyclopidique*. France Paris.